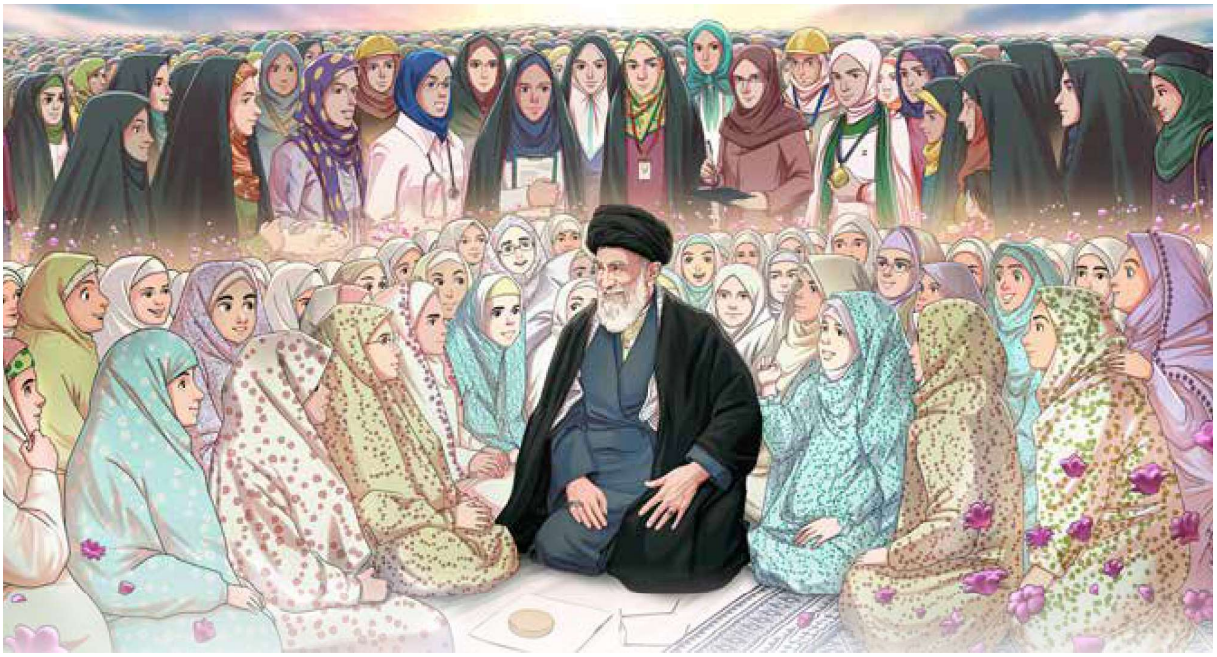

رؤية الإمام الراحل والقائد الخامنئي لدور المرأة في المجتمع

بقلم: منيب هاشم

رؤية الامام الخميني لقضية المرأة لا تنفصل عن تصوّره العام للمجتمع الإسلامي عموماً، فثمّة حضور مباشر لها في أعماله كافة، والمرأة مفردة من مفردات مشروعه الفكريّ والاجتهادي، تكررت في إنتاجاته المختلفة، سواء قصد المرأة تحديداً، أو استخدم أنموذجاً لضرب الأمثلة، أو للوعظ والتوجيه، حيث يؤكد على دور المرأة في المجتمع: «يجب على المرأة أن تشارك إلى جانب الرجال في النشاطات الاجتماعية والسياسية»، فنظرة الإمام الراحل للمرأة كإنسانة وليس كأنثى، ففي النظام الإسلامي تتمكن المرأة بوصفها إنسانة، من المشاركة الفاعلة في بناء المجتمع الإسلامي جنباً إلى جنب الرجل...

وفي مورد آخر رد الإمام الخميني على سؤال وُجّه له مضمونه أن يدعو إلى عزل النساء عن الحياة الاجتماعية، فقال: «إن الإسلام النبوي الصحيح لا يطرد النساء من ساحة الحياة الاجتماعية، ولكنه يضعهن في المجتمع

السيد الخامنئي يثمّن دور المهم للمرأة في النهضة الاسلامية على كافة المستويات، انطلاقاً من البيت إلى المجتمع في كافة الميادين التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقضائية

في مكانهنّ الإنسانيّ الرفيع، بحيث تكون المرأة شجاعة، ويجب أن تتدخل في مقدّرات الدولة الأساسية، المرأة صانعة البشر مربية الإنسان ولا يمكن الاستغناء عنها في الأمّة، ولو جرّدوا الأمم من النساء الشجاعات والمربيات للإنسان، فسوف تهزم هذه الأمم وتؤدي إلى الانحطاط»، لأنه كان يؤمن أن النضال السياسي الإسلامي ناقص حتماً من دون مشاركة النساء ويجب أن تشارك النساء مع الرجال والعلماء جنباً إلى جنب في جميع المراحل، وليس لأي أحد الحقُّ في أن يدعو إلى إبعاد النساء عن التحركات السياسية والاجتماعية والثقافية.

وكما يعتبر الإمام الخميني أن الدور الأساسي للمرأة في إصلاح المجتمع لأنها الشخص الوحيد التي يمكنها القيام بذلك فيقول بكل حماس: يتسم دور النساء في العالم بسمات خاصة، إن صلاح أي مجتمع أو فساده نابع من صلاح النساء وفسادهن في ذلك المجتمع، فالمرأة هي الكائن الوحيد الذي باستطاعته

أن يرفد المجتمع من أحضانه أفراداً بفضل بركاتهم يتمكن المجتمع بل المجتمعات من السير على طريق الاستقامة والقيم الإنسانية السامية ومن الممكن أن يحصل العكس.

فالإمام لم يغفل المرأة في أي خطاب عن أي حقل من حقول المجتمع، فهو يركّز على أدوارها كلها في الأسرة الصغيرة من تربية الأولاد وتنشئتهم الصالحة، ودورها كأم وزوجة ودورها في انتصار الثورة الإسلامية، وفي الدفاع عن الإسلام سواء في جبهة المجتمع أو بمواجهة جبهة الاستعمار، فدور المرأة بالنسبة للإمام الراحل دور مكمّل لدور الرجل وأساسي، ولا يمكن الاستغناء عنه في أي مجال لما لها من تأثير في تطوّر المجتمعات الإسلامية، والنهضة الاسلامية إن قامت بما يطلبه الله منهن والتي لا يمكن أي فرد في المجتمع القيام به سوى المرأة، لأنها صانعة البشر ومربية الأجيال.

إذ كان الإمام يشبّه نساء الثورة بالنساء في صدر الإسلام من حيث مشاركتهن في الجهاد ومساهمتهنّ في تقرير مصير أمتّهنّ وتقرير مصائرهنّ: «إن وجود نساء ناشطات ومجاهدات، دليل على تحوّلٍ في المجتمع شبيه بالتحوّل الذي حدث في صدر الإسلام، أي في الماضي، إنها عظمة هذه الثورة التي غيّرت المرأة الإيرانية على هذا النحو».

وقد مثّل هذه الأقوال الإمام في خطبه، ومن بعده في خطب السيد الخامنئي في المناسبات المختلفة، كما ظهر في الصحف والمجلات في المرحلة التي أعقبت الثورة، عن دور النساء في الصحوة الاسلامية.

وبعد عدّة سنوات من قيام الثورة، قارن الإمام بين ما كانت عليه أوضاع النساء وما صرن إليه: «الحمد الله أنّ الشبهات المتعلقة بعقائدنا قد حُلتّ وأزيلت، فجميع طبقات المجتمع اليوم رجالاً ونساءً مشغولون بالتربية والتعليم، والسيّدات مشغولاتٌ أيضاً، وهنّ اليوم جزءٌ من طلبة العلوم الدينية، وفي أماكن أخرى،...وهذا أمرٌ تحقّق بفضل هذه الثورة، لقد كنّ من قبل كالسجينات، ولم يكنّ يسمح لهنّ أن يدخلن في مجتمع من عشرة أشخاص، وأن يطرحن قضية علمية أو قضية عقائدية، اليوم يمكنهن، مع المحافظة على جميع مظاهر الإسلام، أن يقمن بالدعوة والتبليغ في جميع أنحاء البلاد وحتى خارج الوطن أيضاً».

هذه آثار النهضة الإسلامية في إيران التي أثّرت على النساء الإيرانيات وعلى كل النساء المسلمات في العالم، لم يعد يقتصر دورها على البقاء في المنزل بل انطلقت الى الحياة العامة ومشاركة الآخرين في مصير البلاد وتطوير المجتمع في كافة الميادين.

كما أن الإمام الخامنئي لا يختلف عن سلفه بقضايا المرأة، فقد أولاها كل الاهتمام وفي خطاب موجّه للنساء، يقول: «إنّ يوم المرأة، يعني النظرة الصحيحة، والقائمة على المنطق، للنساء اللاتي يشكّلن نصف المجتمع الإنساني، ولو أردنا بنظرة فاحصة مقارنة دور المرأة بدور غيرها، لوجدنا أنّ دور هذا النّصف يمثّل الدّور الأكثر خطورة ودقّة وخلوداً وتأثيراً في حركة التاريخ الإنساني ومسيرته الإنسانيّة نحو الكمال، فقد خلق الله المرأة على هذه الشّاكلة.

وقد ركّز الإمام القائد في هذا الخطاب على دور النصف المهم من المجتمع في النهضة الاسلامية، ألا وهو المرأة وخطورة دورها في التأريخ والمسيرة الإنسانية لعمري أنها مسؤولية جمّة على المرأة تحمّلها والعمل على القيام بدورها.

كما يؤمن السيد الخامنئي بأن النساء في كل مجتمع بشري سالم، قادرات وعليهن أن يجدن الفرصة لبذل الجهد والتسابق في مجال التقدم العلمي والاجتماعي والبناء والإدارة في هذا العالم في حدود قدراتهن، وفي هذا المجال ليس أي فرق بين المرأة والرجل.

فكلاهما - حسب رأي السيد الخامنئي- يستطيع أن يخدم المجتمع ضمن الحدود والقدرات التي أولاه الله تعالى إياها، لذلك ليس هناك أي تفاوت بينهما في مجالات الإعداد والاقتصاد والتخطيط والتفكير ووضع الدراسات لشؤون البلد والمدينة والقرية والجماعة والشؤون الشخصية للأسرة، فالكل مسؤول وعلى الكل أن يؤدي المسؤولية. وعند السيد الخامنئي لا توجد ساحة معينة لرجل وآخر لنساء يمكنها العمل في المجال السياسي، كما العمل الإداري والاجتماعي والبناء: «إذا كانت المرأة تمتلك طاقات علمية مثلاً أو قدرة على الاختراعات والاكتشافات وكانت مؤهلة لأداء نشاط سياسي أو عمل اجتماعي، ولم يُسمح لها أن تستغل طاقتها تلك، وأن تنمّي قدراتها تلك، فذلك ظلم، اليوم إذا لم تمارس المرأة المسلمة حضورها في الساحة، فستبقى ساحة البناء ناقصة وستتعطل مسيرة البناء.

وبذلك يؤكّد القائد الخامنئي على دور النساء في تطور المجتمعات والنهضة الاسلامية، فيقول: «إن دور النساء في الثورة كان دوراً أساسياً وخلال الحرب كان دورهن مصيرياً، وسيكون دورهن في المستقبل أيضاً مصيرياً إن شاء الله، فإنّ دور النساء لا بديل له، لذا فإنّ هذا الدور ضروري لأنّ له مستقبلاً، لقد مضى على عمر الثورة ٤١ عاماً، وهو عمر شباب حتى عند الإنسان فما بالك بهكذا مدّة في التأريخ، ينبغي أن يُعمّر هذا النظام الإلهي لمئات السنين، نحن لا نزال في ريعان الشباب، المستقبل محتاج لهذا

كانت شخصية الامام الخميني (ره) شخصية شاملة اكتسبت مستويات اخلاقية وعرفانية وفقهية وسياسية واجتماعية وادارية ورغم تواضعه وبساطته وقف علي اكبر موقع لادارة شؤون البلد واربك جميع الموازنات والمعادلات المعقدة للعالم الرأسمالي

الحضـور النسـائي في حشـود الحضـور الوطني.

فـدور المـرأة عند القائـد يبـدأ أولاً بتأدية دورها كأم في تربيـة الأبنـاء رسـالية في ركب المجاهدين والشـهداء، وتأثيرها كزوجة بتشـجعه إلى متابعة الجهـاد، أي دعمهـا روحيـاً ليتمكنوا مـن اقتحام السـاحات الكـبرى، وهـو مـن أهم أعـمال المرأة لأنهـا قـادرة عـلى قلـب الموازيـن لـو أرادت وقامـت بالشـكل الصحيـح، وهـذا يعطيهـا دوراً أكـبر مـن دور الرجـل: «إن قيمـة المـرأة هـي أن تجعـل جـو الحيـاة جنّـة ومدرسـة وجـواً آمنـا للعـروج نحـو المعـارف المعنويـة والمنـازل المعنويـة لهـا ولزوجهـا ولأبنائهـا، وعندمـا يسـتدعي الواجـب يمكنهـا أن تؤثـر في مصـير البـلاد، وتلعـب دوراً في تحديـد مصـير المجتمـع. .. وعليـه فـإن دور المـرأة مضاعـف».

ثـم يتابع السـيد الخامنئي بأن دورهـا في العمل السـياسي ضروري وذلـك بـردّه عـلى التسـاؤل عـن جـدوى انتخـاب نـوّاب نسـاء في المجلـس، ومـا هـي فلسـفة هـذا الأمـر؟: «إن واجبهـن هـو سـدّ الثغـرات الموجـودة بتأثـير التقاليـد المنحرفـة السـائدة في المجتمـع والمتعلقة بالمرأة، ولأنهـن أدرى بهـذه المشـاكل مـن الرجـل، مهما كان الرجـال متفهمـين لمعانـاة النسـاء ومؤيدين لمطالبهـن، فهـم لا يسـتطيعون إدراك المسـائل بعمـق، وتاليـاً وضـع القوانين المناسـبة لهـا.... في اعتقـادي إن هـذه هي رسـالة النسـاء في مجلس الشـورى الإسـلامي، إضافـة إلى مسـؤولياتهن بالنسـبة إلى القضايـا السياسـية والاقتصاديـة وغيرهـا».

وبذلـك يوضـح السـيد الخامنئـي الـدور المهـم للمـرأة في النهضـة الاسـلامية عـلى كافـة المسـتويات، انطلاقـاً مـن البيـت إلى المجتمـع في كافـة الميادين التربويـة والاجتماعية والاقتصادية والسياسـية والقضائيـة....

ويوجـه كلامـه إلى كل مـن لا يريـد مـن المـرأة مـن المشـاركة الاجتماعيـة، يقـول سـماحته: «عليهـم أن يتعرفـوا عـلى الإسـلام الحقيقي، لأن مـن واجـب المـرأة الشرعـي أن تتدخـل في أمـور الدولـة وأن تدافـع عنهـا، وأن محافظتهـا عـلى حرمتهـا ووقارهـا، وتمسّـكها بأصالتها الشـخصية لا يتعـارض مـع مشـاركتها في أهـم مراكـز القرار ووضـع القوانـين، كـما كان للنسـاء مشـاركة أساسـية في ولادة النظام الإسـلامي وفي المحافظة عليه».

واليـوم علينـا أن نعـرف أن العـدو اسـتطاع أن يكتشـف هـذه الميـزة المهمـة للرسـاليين، فالاسـتعمار يسـتخدم وبصـورة مجـزّأة قـوة الجماهـير ومـن مختلـف القطاعـات في سـبيل دعـم قوّتـه الشـيطانية، ومـن ضمـن هـذه القطاعـات القطـاع النسـوي. وهـذا مـا أطلـق عليه سـماحة القائد الخامنئـي بالحرب الناعمة.